ديمقراطية الإسلام أمام التجربة

المقدمة...

مؤثرات موسيقية.....

موكب كبير.. صهيل خيل.. موسيقى عسكرية.. ضجيج من الجماهير.....

سودة " وصوت مرتفع تنادي على أمها " أسرعي يا أمي فالموكب يقترب.

أم سودة: " من بعيد " دقائق وأكون إلى جانبك.

سودة: وما عساك تشهدين بعد الدقائق؟ الموكب يكاد يحاذي منزلنا. أتركي ما بين يديك. ثم نعود إلى العمل فيما بعد.

أم سودة: سامحك الله يا بنية. " تقترب "كنت أخاف أن يحترق الطعام.

سودة: ولكن الموكب الذي يمر بهم أهم من الطعام واحتراقه.

أم سودة: لمن هذا الموكب؟ إنه يبدو موكبا لملك غريب. إذ لا عهد لنا بمثله من قبل.

سودة: أنظري يا أمي.. الأعلام المرفرفة والخيول المزدانة بالألوان شرائط حمراء وبيضاء وخضراء.. وهؤلاء الفرسان.. إنهم بهجة للناظرين. وهذا اللحن العجيب الغريب! ألا يستحق هذا كله أن ترتاحي قليلا من ماعون البيت ومتاعب المطبخ؟

أم سودة: صدقت يا بنية.. إنه مشهد جميل. ما كنا لنراه في غير هذا اليوم. ولكن موكب من هذا؟

سودة: سمعت يا أمي من يقول: إنه موكب جبلة بن الأيهم ملك الغسانيين جاء يعلن إسلامه.

أم سودة: هاه.. أهو الذي كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يشكو إليه طغيان دولة الروم؟

سودة: هو ذاك يا أمي.. وقد سمعت أنه اختار الإنضواء إلى قومه العرب المسلمين متخلياً عن ملكه المهدد من قبل دولة الروم.

أم سودة: أعلم ذلك يا بنية. وأعلم أيضا أن أمير المؤمنين قد كتب إليه: أن أقدم ولك ما لنا وعليك ما علينا.

سودة: ولكن هذا الموكب بما فيه من بهارج وزينة شيء غريب على الإسلام.

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

أم سودة: لن يلبث جبلة يا بنية أن ينخلع من كل هذا الغرور فيعيش معنا على طريقتنا إذا أسلم وحسن إسلامه..

تعود الموسيقى وضربات الطبول.. ثم ينخفض الصوت شيئاً فشيئاً..

سودة: أنه مشهد حلو رائع يا أ مي..

أم سودة: دعينا من هذا ولنعد إلى شأننا. فقد أغنانا الله عن هذا كله بفرحة الإيمان وعزة النصر.

نقلة موسيقية.....

سودة: أمي.. أمي.. هل سمعت النبأ؟

أم سودة: نبأ من؟

سودة: نبأ جبلة؟

أم سودة: وما شأن الرجل؟ لقد سمعت أنه أسلم وحسن إسلامه.

سودة: لقد هرب تحت جنح الظلام ولحق به بعض أصحابه.

أم سودة: ولماذا يهرب؟ وهو هنا في دعة وأمن وخفض من العيش؟

سودة: ألم تسمعي حكاية الغزاوي؟

أم سودة: وما هي هذه الحكاية؟

سودة: كان ذلك حول الكعبة والمسلمون يطوفون حولها ومن بينهم جبلة بن الأيهم..

نقلة موسيقية.. صوت التلبية.. تكبيرات.. ثم ينخفض الصوت مرة واحدة كما لو أنه غشيته غاشية فاصبح أشبه بالهمس تعقب ذلك صفعة عنيفة..

الغزاوي: ولماذا تضربني يا رجل؟

جبلة: ألم تدر ما فعلت؟

الغزاوي: وماذا فعلت؟

جبلة: تطأ إزاري وتحل رباطه ثم تتساءل عما فعلت؟

الغزاوي: وماذا في ذلك والزحام شديد كما ترى !

جبلة: ولكنك نسيت أنني جبلة بن الأيهم.

الغزاوي: كلا. لم أنسى.. ولكنني لا أنسى أيضا أنك واحد منا لك ما لنا وعليك ما علينا.

جبلة: إلا أن تجاوز حدك فأنت سوقة وأنا ملك.

الغزاوي: أنا غزاوي مسلم يا جبلة. فإما أن تقيدني منك أو أستعدي عليك أمير المؤمنين.

جبلة: وذلك يا جبلة ! والله لو لا حرمة هذا البيت لأخذت الذي فيه عيناك.

الغزاوي: " مبتعدا " أنت وشأنك يا جبلة. أما أنا فلي عند أمير المؤمنين ملجأ وحكومة.

نقلة موسيقية.....

أم سودة: وماذا بعد يا بنية.

سودة: سمعت أن أمير المؤمنين قد قال لجبلة بعد إقراره: إما أن ترضي الغزاوي أو أفدته منك.

أم سودة: أوَقد فعل؟

سودة: وكيف يفعل وهو الذي يرجو أن يكون في الإسلام أعز منه في الجاهلية؟!

أم سودة: أوَقد هرب لتوه؟

سودة: بل فعل أكثر من ذلك.

أم سودة: وماذا فعل؟

سودة: قال لأمير المؤمنين مهدداً حين علم أن الإسلام قد سوى بينه وبين الغزاوي. لقد قال يا أمي رداً على عمر: إذن أتنصر.

أم سودة: أعوذ بالله منه إنه قول شيطان رجيم. ماذا قال أمير المؤمنين؟

سودة: قال: إذن أضرب عنقك.

أم سودة: يفعلها عمر ورب الكعبة.

سودة: لكن جبلة لم يلبث حتى طامن من كبريائه واستمهل أمير المؤمنين حتى إذا جن الليل خرج وبعضاً من قومه مفارقاً بلدنا وفي عزمه ألا يعود..

أم سودة: هيه يا بنية لو أن أمثال جبلة يدركون معنى المساواة بين الإنسان والإنسان في نظر الله لذهب غروركم وتطامنت كبرياؤهم..

نقلة موسيقية.....

الشيخ: هل يكفيك ما سمعت اليوم يا خالد؟

خالد: يخيل إلي يا جديد أنني حين أستمع إلى مثل هذا القصص أعيش في عالم من الخيال.. عالم بينه وبين واقع اليوم كما بين السماء والأرض.

الشيخ: ولكن الذي أقصه عليك هو شيء في صميم التجربة الإسلامية والتطبيق العملي لديمقراطية الإسلام التي حملها إلينا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

خالد: ألا تعتقد يا جديد أن العمل بمثل هذه الروح قد أصبح اليوم أشبه بالمحالة؟ ألا يتعذر على إنسان اليوم أن يتصرف في ضوء هذه التجربة التاريخية ومثيلاتها؟!..

الشيخ: قد يكون ذلك يا ولدي ما دام أن الإيمان لم يحدث أثره المعجز ولم يخالط الدم والأعصاب والقلب عند أصحابه.

خالد: ولكن كيف يمكن أن يحدث هذا الأثر؟

الشيخ: يا بني أن تقييم الفاعلية التي يحدثها الإيمان مشروط بوجود الإيمان نفسه. أما الإيمان فهو عنوان على نضوج المؤمنين الذين يلجأون إليه بعد أن يرهقهم الضياع وتحطمهم الحيرة.

خالد: ولكنك لم تقل لي السبيل إليه !

الشيخ: السبيل هو التجربة والخطأ. فالإيمان لا يعطي كما يعطي الدواء للمريض.. والإيمان لا يغزو وقلوب الناس بالموعظة والخطابة وطرائق الفلاسفة في إعداد البراهين العقلية والقضايا المنطقية وحسب. بل هو حصيلة القدوة من ناحية وثمرة المعاناة والتجربة والأخطاء التي يرتكبها الناس. إن قصة الإيمان هي قصة الإنسان الذي بسطت أمامه طرق الهداية والضلالة ثم تترك له بعد ذلك وفي ضوء التجربة مهمة اختيار الطريق. وهذا ما عناه الله سبحانه وتعالى في قوله الكريم " وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ "..

خالد: هل تعني بذلك يا جدي أن الكوارث التي تنزل بنا اليوم والأخطاء التي نرتكبها هي خطة في صميم طريق الهداية؟!..

الشيخ: هو ذاك يا بني. إن أحداً يا خالد لا يستطيع أن يأخذ بيدك عملياً ويدخل الإيمان إلى صدرك وينير قلبك به ما لم تكن القابلية متوفرة عندك. وهي لا تتوفر إلا بالمعاناة والتجربة وإلا بفضل التراث الذي هو خلاصة تجربة تاريخية طويلة تمتد إلى الوراء عدداً من القرون !

خالد: لكنك لم تحدثني بعد عن النظرية الديمقراطية في الإسلام ولم تسلط الضوء على أبعادها الإنسانية.

الشيخ: لقد أردت يا بني في جملة اللقاءات الأخيرة أن أهيّئك لاستقبال المحتوى الإنساني لرسالة الإسلام الديمقراطية فتكون أقدر على وعيها وإدراك ما فيها من الأصالة والقوة.

خالد: والواقع أن ما عرفته في هذه اللقاءات الأخيرة شيء كثير وكم يشوقني أن أعرف ما وراءها.

الشيخ: إلى لقاء قادم إن شاء الله. ترتفع فيه حجب أخرى ويتفتح فيه قلبك لمزيد من الهدى والمعرفة.

خالد: إلى لقاء آخر يا جدي. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته..

صوت: أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ..صدق الله العظيم